محمد رسول الله

نبينا محمد ﷺ والتعليم

ملاحظات الندوة التدريبية

عثمان نوري طوپّاش

دار الأرقم

بسم الله الرحمن الرحيم

إسطنبول ١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٣م

إسطنبول: ١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٣م
اسم الكتاب باللغة التركية: Peygamber Efendimiz ve Eğitim
اسم الكتاب: نبينا محمد ﷺ والتربية
ترجمة: ياسمين رستم
تصميم وتنضيد: حسام يوسف
ISBN: 978-625-440-527-3
Language : Arabic

طباعة وتغليف: مطبعة دار الأرقم

العنوان:

دار الأرقم

- Address : Ikitelli Organize Sanayi Bölgesi Mahallesi
  Atatürk Bulvarı Haseyad 1. Kısım No: 60/3-C
  Başakşehir - İstanbul / Türkiye

Phone : +90 212 671 07 00 (Pbx)
Fax : +90 212 671 07 48
E-mail : info@islamicpublishing.org
Web site : www.islamicpublishing.org

نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والتربية

عثمان نوري طوباش

ملاحظات الندوة التدريبية

دار الأرقم

كلُّ عصر نُسي فيه الله تعالى والآخرة عصرُ جاهلية

بعث الله سبحانه وتعالى الأنبياء مبشرين ومنذرين في كل عصر نأى فيه الناس عن حقائق الله في الكون وخضعوا فيه لأهواء أنفسهم ووساوس الشيطان.

وكان خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمدٌ ﷺ الذي بُعِثَ للناس كافة نبيًّا وهاديًا وأسوة حسنة حتى يوم الدين.

إن كلَّ عصر عاش فيه الناس بعيدين عن طاعة الله ﷻ ورسوله ﷺ إنما هو عصر جاهلية، ونرى تشابه الفظائع والوحشية في كل عصر لم يصلحه ما أنزله الله وبلَّغه أنبياؤه.

فطبع الإنسان لا يتغير بتغير الزمان والمكان وظروف الحياة.

وهل هناك فرق بين الإنسان في عصر الجاهلية الحاضر القائم على اللذات والشهوات والسرعة وذلك الإنسان الذي كان في الجاهلية قبل أربعة عشر قرنًا؟!

في ذلك المجتمع الذي بُعِثَ إليه رسول الله ﷺ:

- كان الناس يئدون بناتهم. (واليوم يقتل جزَّارو الإجهاض الأجنَّةَ البريئة بغير حولٍ منها ولا قوة).

- وكان القوي فيهم يظلم الضعيف. (واليوم نجد القِوى الكبرى تغتصب أموال الناس وتحتل أراضيهم، لا بل يأسِرون قلوبهم بما ينشرون بالتلفاز والإنترنت، فتنأى قلوب الناس عن الروحانيات فتُشَلُّ).

- وغدت القلوب كالحجارة بل أشد قسوة.

-وكانت المرأة سلعةً تُباع وتُشترى وتُورَّث. (واليوم نراها تُستغَل في نواح كثيرة وكأنها أداة للعرض).

- وتجرَّد الإنسان من إنسانيته.

-ونسي الحساب والآخرة.

وأول ما عارضه المشركون في الجاهلية الإيمان باليوم الآخر.

وخرج بعضهم ليقول:

«أي محمد، دع عنك قولك بالحساب والآخرة، ولا تذمَّ آلهتنا، نتبعك..!».

أي إن أكثر ما كان يؤرق المشركين فكرة أنهم سيُوقَفون ويُسأَلون عن أعمالهم بعد مماتهم.

والحق:

-أن الإنسان كلما ابتعد عن أوامر الله ونواهيه، تجرَّد من إنسانيته.

-وكلما أدار ظهره للكتاب والسُّنَّة، ضمر ضميره، وتحوَّل إلى ظلوم جهول ينافس الضباع في وحشيتها وقتلها.

وقد قال الله تعالى عن الإنسان:

﴿**إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا**...﴾[1]

ظلومًا، إذ عميَ عمَّا ينتظره أي عن حياة الخلود، وعاش وهو لا يدري عاقبة أمره.

إن أعظم ظلم قد يقترفه أشد الحيوانات وحشية للإنسان أن يقتله فيُنهي حياته الفانية القصيرة، وأما الإنسان الظالم الذي اتبع هوى نفسه وغيَّ الشيطان فتجده يجعل حياته في الآخرة عذابًا أليمًا بظلمه نفسه.

١ الأحزاب: ٧٢.

جهولًا، قد ضمُرَ عقله وقلبه، لا يدري لمَ جاء إلى هذه الدنيا ولا إلى أين يسير، ولا في مُلك مَن يعيش.

ولا ريب أن كل شيء في هذه الدنيا فان، أي إن الموتَ الحقيقةُ الكبرى. أفليس على منكِر الآخرة أن يتفكر لمَ الموت في هذه الحياة؟

لقد انقلبت دنيانا اليوم إلى عصر الجاهلية، إذ نجد أن شيئَين يُرَاد تخريبهما:

أولهما الإيمان بالآخرة. فثمة سعي لينسى الناس الحساب والقيامة وحياة الآخرة، إذ نجد اليوم البرامج السيئة والإعلانات الخدَّاعة التي تُعرَض على شاشات التلفاز والإنترنت مُسلَّطةً على قلوب الناس وأذهانهم لينسوا الآخرة.

ونجد الناسَ اليوم قد باتوا كرجال آليِّين تتحكم بهم التكنولوجيا الحديثة عن بعد، فتلاشت في القلوب الروحانيَّات، وأُطلِق العنان للنفسانيَّات.

والإنسان الذي ينسى آخرته يمحق حياته في دوَّامة رغبات نفسه وغوائلها، ويرمي بنعيمه الأبدي في القمامة.

وأما الشيء الآخر فهو الأسرة، إذ المقصود أن يكون إنسان الحاضر نائيًا عن أي مسؤولية.

وبذلك يسعون لإفساد الأجيال، والحطِّ بالإنسان إلى درجة الأنعام.

وبِتنا نرى في أيامنا هذه عودة بعض أهل الكبائر ممن استحقوا العذاب الإلهي من قبل.

➢ جحد قوم عادٍ وثمود بالنعم التي أنعم الله عليهم بها وكفروا بها، وطغوا وتجبَّروا، وتمادوا في غيهم وكِبرهم، فهلكوا بريح صرير عاتية.

➢ وبلغ فرعون أشدَّ درجات الحماقة إذ ادَّعى الألوهية، وعميت بصيرته حتى لم يرَ صاحب النعم، حتى إذا أدركه الغرق قال:

﴿...آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [2] ولكن هيهات هيهات.

➢ وسقط قوم لوط في أدنى الرذائل حتى أخرجوا نبيهم ومَن معه لأنهم أناس يتطهَّرون.

---

٢ يونس: ٩٠.

وفي زماننا تستغل القِوى العالمية البلدانَ الضعيفة وتنهبُها، والأسوء من ذلك أنها تفسد قلوب الناس وعقولهم.

وأسوء ما نراه اليوم انتشار الشذوذ الجنسي الذي يُعَدُّ أشدَّ بلاءً من الأوبئة المعدية الفتَّاكة.

فينبغي ألا ننسى أن الصمت عن هذا الفساد له عاقبة وخيمة، وهو كارثة عظيمة تحل على الأسرة والمجتمع.

ألا يرى الإنسان أنه حتى الحيوانات منها الذكر ومنها الأنثى؟ وأن فطرة الأنثى تختلف عن فطرة الرجل؟

فلا يمكن لكلا الفطرتين أن تجتمعا معًا، هما نصفان، كلٌّ منهما يكمل الآخر، وباتحاد النصفين يكون الكل.

أي إن الشذوذ الجنسي إنما هو انحراف لا وجود لمثيله حتى في عالم الحيوان! أي إنَّ الإنسان في شذوذه صار كما وصف الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿**بَلْ هُمْ أَضَلُّ** ..﴾ أي أضل وأدنى درجة من الحيوانات.

ولا بد لنا من التفكر والاعتبار، فقد سقط قوم نبي الله لوط عليه السلام سَدُوم وعَمُورة بفاحشتهم ورذيلتهم وخسف الله بهم الأرض من تحتهم.

كذلك ما حدث في مدينة بومبي الإيطالية ليس ببعيد، فقد خُسِفَت بأهلها بعد أن شاعت بينهم فاحشة قوم لوط تمامًا مثلما آل إليه قوم لوطٍ من قبل.

وهم اليوم يجرون العالم إلى وضع أسوأ ممن سبقهم.

➢ كذلك نذكر قوم شعيب عليه السلام الذين طغوا وشاعت في تجارتهم الرشوة والخداع والاحتيال وبلغت الأسواق السوداء ذروتها عندهم.

واليوم تُنفَّذ عمليات الاحتيال التجارية في أفجع صورها علانيةً أمام الجميع. فنجد الشركات الكبرى تتصالح فيما بينها وتغتصب حقوق الفقراء في هذا العالم.

➢ أما نمرود قوم كلدان الذين بُعِثَ فيهم نبي الله إبراهيم عليه السلام فقد اعتراه الغرور وسقط في سم الكبر حتى وصل به الأمر أن يدعي أنه إله.

فأرسل الله تعالى عليهم ذبابة أهلكته.

➢ ووقع أبرهة الحبشي وجيشه في الكبر والغي والغطرسة، فأرسل الله تعالى عليهم طيرًا من أبابيل محتهم عن بكرة أبيهم.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [٣]

ونجد أن أمثال الذين عانوا من هذا العذاب أولئك التعساء المطرودين من الرحمة الإلهية -مع بالغ الأسف- قد أخذوا بالازدياد يومًا بعد يوم. ولكن الهلاك الذي طال الأقوام السابقين من خسفٍ وتدمير، لا يمكن أن يطال أمتنا، أمة رسول الله محمد ﷺ لحرمته وكرامته.

ولكن الفحش والرذيلة وما حرم الله من التجارة من الربا للرشوة وغيرهما مما يصدع الأُسرَ ويزلزلها تذكرنا كلها بعصور الجاهلية السابقة.

فالعفة والحياء قد بلغَا الحضيض، ما عاد هنالك أخلاق للتجارة، وترى مفهوم التربية الوجدانية للأطفال قد اضمحل وبلغ أدنى ما بلغه.

٣ الفجر: ٦-١٣.

في الماضي البعيد كان للأسرة وتنشئتها بعدٌ مختلف جدًا عما هو عليه اليوم، كان هنالك آباءٌ وأمهاتٌ حقًّا، ينظرون للطفل على أنه أمانة ربانية قد وهبت لهم. كان هنالك راشدون قد خاضوا غمار الدنيا، أعدوا الأطفال من صغرهم للمستقبل مزودين إياهم بالمعرفة مشاركين معهم تجاربهم، كان هناك مجتمع لم يسمح للأطفال بالخطأ أو يعنهم عليه.

فلم يجد الطفل الشقي الذي كان يحاول افتعال الأذى والإيذاء ما يعينه على أذاه أو يشجعه عليه.

أما اليوم، فقد غاب المجتمع واختفى عقلاؤه الناصحون، وفقد الوالدان تأثيرهما على أطفالهما..

اليوم بات الأطفال أبناءَ هذه الشوارع، باتوا أبناء التلفاز والإنترنت.

➢ ومع كل الأسف فإن العالم اليوم قد غُيِّب تمامًا عن ثقافتنا وحضاراتنا الإسلامية.

كما لا ننسى المشروع الصليبي الحديث القائم اليوم المتوجه إلى تشويه الدين الإسلامي ووصمه بالوحشية

والفاشيّة والإرهاب، تحت ما بات يسمى في يومنا هذا «الإسلاموفوبيا».

وبذلك فقد قامت القوات العالمية من جهة بإضفاء الحق على ما تقوم به من انتهاكات واحتلال للجغرافيا الإسلامية ومن نهب لثرواتها، ومن جهة أخرى وبسبب تلك النظرة المشوهة السيئة التي أعطتها عنه فقد أبقت البشرية بعيدة كل البعد عن دين الإسلام.

وفي أيامنا هذه نجد أن المسيحية أيضًا قد أفرغت من كل معنى ينطوي على العبادة فيها، فباتت الصلاة مجرد طقس يقام، أما الصيام فقد تحول إلى حمية!

وقد مُنِحَت الكنيسة صلاحية الغفران بل حتى محو الذنوب مقابل دفع مبلغ محددٍ للقائمين عليها من البشر، ولكن أنَّا لبشرٍ أن يغفر ويمحو ذنب بشريٍ مثله؟

متخذين ديدنهم مقولة «ما لقيصر لقيصر!» وبذا فقد قطعوا كل ارتباطٍ للدين بالحياة الدنيا، وحبسوه في نطاق المعبد.

أما اليهودية من ناحية أخرى فنجدها في هياج عنصري طبقي مستمر، نجدهم يرون أن لهم كل الحق في اضطهاد غيرهم ممن لا يتبعون ملتهم، ولكن وعلى

الرغم من كل ذلك لا نجد أي من كل ذلك ينعت «بالرُهاب» أو يؤدي إليه كما أطلقوا على دين الإسلام ووصفوه.

الدين الحق الصحيح الوحيد القادر على ضمان سعادة البشرية في الدنيا والآخرة نراه اليوم يصنف على أنه «رُهاب» وفوبيا.

لذا وفي مثل هذا الوقت العصيب وقع على عاتقنا مهام بالغة الأهمية تتمثل بِـ:

- إيصال الإسلام الحق للبشرية، بحقيقة أنه دين الرحمة للناس أجمعين.

- أن نزيل رواسب الدعاية القذرة التي حيكت وتحاك ضد الإسلام من النفوس.

- وأن نقدم الإسلام للإنسانية بمظهره الأصلي البراق الصحيح.

وكان كل ذلك لا يكفي، وككارثة أخرى من كوارث اليوم خرجت لنا:

اليوغا والتأمل

فقد وصل التسويق المعلن لليوغا وما يشابهها من ممارسات مرتبطة بها إلى بلادنا أيضًا، والتي ليست بأساسها إلا طقوسًا وعبادات لديانات الشرق الأقصى الباطلة.

ولكن ويا للأسف فإن بعض مسلمي بلادنا يقعون في هذه الفخاخ التي تنصب، بسبب قلة وعيهم وقلة إلمامهم وفهمهم للفكر الإسلامي، غير مدركين مدى خطرها وأنها من أخطر ما يمكن أن يمس العقيدة.

على الرغم من وجود كل ما يحتاجه الإنسان مما يملأ الروح والجسد ويشفيهما في ديننا دين الرحمة دين الإسلام.

ومن جهةٍ أخرى؛ فإن أولئك الذين يبحثون عن حلول لمشاكلهم من خلال طقوسٍ كاليوغا والتأمل؛ يتعللون مبررين ذلك بقولهم:

«نحن إنما نتبع الجزء الحركي التقني فيها فنجد الفائدة، لا المعتقدات الدينية منها فهي لا تهمنا، نحن نراها مجرد حركات لا أكثر ولا أقل».

على الرغم من أن تلك الفائدة التي يرونها إنما هي مجرد وهم يقوضون فيه أنفسهم مستخدمينه كعذر.

ومع ذلك، فإن الفائدة التي يدعون أنهم يروونها هي في الواقع مجرد خداع وزيف، ولا سلام للروح فيها كما يظنون. ليست إلا فائدة مؤقتة زائفة تزول.

مثلهم كمثل مخمور أسكره خمره: تراه يتنفس الصعداء محدثًا نفسه قائلًا «قد تبدد همي»، أو مثله كمثل المقامر الذي بدد أمواله فيها ظنًا منه أنه في ذلك السبيل لطمأنينة قلبه.

بالإضافة إلى ذلك فإن كل هذا السلام الروحي المزيف، المؤقت، الدنيوي، إنما هو سبب هلاك وكوارث أخروية في الحياة الآخرة.

اليوغا وما شابهها من ذلك إنما هي طقوسٌ وممارسات لا يمكن فصلها عن منشئها الديني أبدًا، والإدعاء بأنها ليست إلا تمارين استرخاء بريئة ورياضة هو مرفوض تمامًا.

فعندما نتعمق فيها قليلًا نجد مدى ارتباطها الوثيق بالفلسفة الشركية (تعدد الآلهة)/ الوثنية لديانات الشرق الأقصى فهي مثلها بأساسها وصميمها.

فأرباب اليوغا الذين يقومون بتدريسها إنما هم بالأساس رهبان وكهنة دينهم.

والكلمات التي يتلفظون بها وحركات الدورن والاتجاهات التي يتوجهون إليها وغيرها من البخور الذي يحرقونه كلها إنما تعود إلى تلك العبادات والصلوات، لذلك فإن هذه الممارسات اللاإسلامية إنما تتعارض مع عقيدة الإسلام وتحرف القلوب «لا قدر الله» عن مسار الحق الصحيح.

➢ المسلم الحق يسعى دائمًا ليبتعد عن أولئك الذين لا يحبهم الله، ولا يعطي الدنية في دينه أبدًا.

لاقى أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام ما لاقوه من اضهادٍ وظلم شديدٍ في الأعوام الثلاثة عشر المكية، حيث منعت العبادات وحوربت العبودية لله سبحانه وتعالى.

لكن لم يعطِ أحد من المؤمنين الدنية في دينه أو يفرط في أبسط شيء منه، بل صبروا صبرًا شديدًا، واستمروا وجاهدوا لتبليغ الدين وآيات القرآن الكريم لغيرهم من المشركين.

الإرادة هي جوهر الإنسان تكمن في كل طرف من أطرافه، تجدك تفتح عينك وتغمضها بكامل إرادتك، إن شئت ترفع يدك وإن شئت تنزلها.. ولكن القلب أمره مختلف، لا يملك القلب تلك الإرادة فهو إما ثابت وإما مزعزع، لذا فلا بد لإيماننا من أن يتأصل، لا بد له من أن يتجذر في قلوبنا حتى لا يظل له حال وسط يذبذبه بعيدًا ويأرجحه.

نسير على خطا رسول الله ﷺ على نهج أخلاقه الحميدة وحسن معاملته بالعمل الصالح والعبادة، بالشورى فيما بيننا والتعاضد، بقربنا من الصالحين وبعدنا عن الفاسقين، حتى يينع الإيمان في قلوبنا، يستقر وينبت فلا يتزعزع بعدها أبدًا. فالله سبحانه وتعالى يريد لقلوبنا إيمانًا كهذا الإيمان الثابت.

➢ إن العصر الذي نعيش فيه هو كالآتي:

- عصر قد نُسيَت فيه الآخرة.
- ملأته العنصرية والتفرقة.
- جفت ينابيع الرحمة فيه.
- ودَّع البشر فيه إنسانيتهم.

- تملكت النفوس جاهلية جديدة معاصرة عجنتها بالغضب.
- القوى العالمية بكل إمكانياتها وقدرتها ترونها تسعى لمحاولة تمزيق ثوب الشرف والعفة ونزعه عن البشر.
- يحاولون جاهدين تدمير تلك القلعة الحصينة التي تحمي الشباب ألا وهي الأسرة.

نجد الكثير من الشباب يفرون هذه الأيام من الزواج، متوجهين أكثر إلى العلاقات المحرمة، لا سيما في ظل تراجع الرادع الديني والخوف من الآخرة.

لو أننا نظرنا للأمر من الناحية الروحية الوجدانية فسنجد أن البشرية منغمسةٌ في بؤسٍ ما بعده بؤس، حتى باتوا يظنون سعادتهم في ذلك البؤس.

وإنما ذلك يحصل لجهلهم بحقيقة الإسلام وواقعه.

والحل الوحيد لكل ذلك هو إعادة تنظيم حياتنا هذه مقتدين بسيرة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام.

أن يعرف أطفالنا الرسول عليه الصلاة والسلام منذ نعومة أظافرهم، أن يعرفوه أطفالًا في المهد ويتعلموا

عنه في مدارسهم الابتدائية والثانوية وحتى وصولًا للجامعية.

حتى يكون له نصيبٌ من الحب الأول، حتى يضخ ذلك الحب في أوردته الغضة منذ البدايات، ويعيش ذلك العشق.

أن يكون الرسول ﷺ مثالًا حيًّا مقدمًا له يعيش مقتديًا به، لا أن تكون حياته عليه الصلاة والسلام مجرد رواية لشخص غابر بتسلسل زمنيٍّ تاريخي.

أن يتلمسوا شخصيته عليه الصلاة والسلام كما كانت، رجلٌ فريد ولكنه ليس «إنسانًا مثاليًا» كما أنتج الفلاسفة في عالم الخيال.

بل هو شخص طبيعي فريد يعيش بفرحه وحزنه، بصبره ورحمته، بإنفاقه وتضحياته، بالعدل والحق، قدوةً للمسلم الحق.

➢ سيدنا محمد ﷺ هو معجزتنا الإلهية التي تتجلى الرحمة فيها بأبهى صورها.

حياته عليه الصلاة والسلام هي مثال حقيقي وملموس يصلح لكل زمانٍ ومكان، يمكن لأي كان

الاقتداء بنصيبٍ منها وفق قوته وقدرته وبغض النظر عن الحالة التي هو فيها، نبينا هو المثال الأمثل الأكمل.

فمثلًا حياة المحكوم لا تشبه حياة حاكمه، وكذلك حياة الحاكم لا تشبه حياة محكومه، أي لا يمكن أن يكون أحدهما مثلًا للآخر، ولكن حياة رسولنا عليه الصلاة والسلام من الكمال والفرادة بحيث إنها يمكن أن تكون قدوة للجميع حتى للأضداد في هذا المجتمع.

فكما لا يمكن أن تكون حياة فقير يعيش في فقر مدقع يكافح لأجل لقمة عيشه تحت ظل مرتبه الهزيل مثالها الغني الذي يرفل في الرفاه و يتقلب في النعيم أو العكس.

فإن حياة رسولنا ﷺ تمثل القدوة لكليهما على حدٍ سواء، والمثال الذي يمكن أن يمشيا عليه كلاهما.

فقد كتب الله تعالى على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام حياة بدأت في طفولته من أصعب النقاط «باليتم» ولكن ورغم الصعوبة ورغم العجز الذي شكله له اليتم، نجده قد كتب عليه الصعود خطوة فخطوة ليتخطى كل تلك المصاعب ويعلو ليكون نبي الأمة

وقائدها، أي يصل لأعلى نقطة من القوة والسلطة، لمنصب النبوة وقيادة الدولة.

قد شهد الجميع بشخصية الرسول ﷺ من مؤمنين وغيرهم، قد شهدوا بأمانته وصدقه وحسن خلقه.

ففي بداية الرسالة والتبليغ وقف رسول الله ﷺ خاطبًا بالناس وقال:

- «أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلًا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟»
- فقالوا جميعًا: «ما جربنا عليك كذبًا»
- قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»[٤]

فقد ذاع صيت صدق رسول الله ﷺ في مكة حتى صار يُكنَّى «بالصادق الأمين»

وحتى أعتى الكفار الذين عارضوا رسول الله ﷺ وعلى رأسهم أبو جهلٍ كان يؤمن بصدقه وأمانته.

كان الناس في الجاهلية مختلفي الطباع والشخصيات، ولكن رسولنا عليه الصلاة والسلام قد أعاد بناء شخصياتهم بالقرآن الكريم والسنة الشريفة، هذبها

---

٤ البخاري، ٤٩٧١؛ مسلم، الإيمان، ٣٥٥/ ٢٠٨.

وأعاد تشكيلها قد أنشأ حضارة مدنية تملؤها الفضيلة، واستبدل بها الجاهلية.

لانت القلوب بمعرفته عليه الصلاة والسلام وملأها الحبور بقربه، قد تذوقت الأفئدة لذة مصاحبته، ورأوا فيه قلبًا لا شبيه له، تملأه الرحمة التي تسع كل شيء، رحيم الأمة الذي ليس كمثله أحد، وأدركوا جيدًا مقدار العظمة بالقرب منه وأن قربهم منه هو وسيلة تقربهم أكثر إلى الله تعالى.

ولذا فقد كان حب الصحابة له حبًّا مختلفًا استثنائيًّا، كلٌّ منهم أحبَّه على حدة.

فَقد قال رسول الله ﷺ:

«المرء مع مَن أحبَّ»[5]

ومن منطلق هذا الحديث وفي ظل تفسيره نجد الصحابة الكرام قد تسابقوا إلى اتباع رسول الله ﷺ وتقليده في كل قولٍ وفعلٍ يقوم به، لكي يكونوا معه في الآخرة كما كانوا في الدنيا وكما قد جاء في الحديث.

---

٥ البخاري، الأدب، ٩٦/ ٦١٦٨.

تعلموا منه كيف يؤدون عباداتهم وكيف يتعاملون فيما بينهم، ومنه تعلموا مكارم الأخلاق والمشورة.

لقد كانت محبتهم عميقة جدًا، فأخلاق سيدنا محمد قد هذبت أنفس أهل الجاهلية بحسنها وطيبها.

لذا دعونا نزرع بذور هذه المحبة في قلوب أبنائنا بحديثنا لهم وإخبارهم دائمًا عن حياة الرسول عليه الصلاة والسلام بكمالها، حتى يكتسب أولادنا من حسن خلقه ويتحلوا بصفاته بمحبة منهم حتى تكون لهم ملازمة، ملازمةَ الظل للجسد، ولنحثهم دائمًا على فعل الخير مذكرينهم بقولنا لهم:

«قد كان رسول الله ﷺ يحب ذلك، لذا دعونا نفعله».

أو عند اجتناب أمر سيئٍ ما بأن نحدثه قائلين :

«ما كان رسول الله ليحب منا فعل ذلك، لذا لا يجب أن نفعله».

أو مثلًا بقولنا:

«لو أن رسول الله كان معنا الآن حاضرًا ورآني أفعل ما أفعل، أتراه كان ليضحك لفعلي أم كان وجهه الكريم ليتعكر وليحزنه ذاك؟»

ولتكن هذه الأقوال والأفكار هي دستور حياتهم التي يحملونها معهم في قلوبهم حيثما كانوا.

خير أسوة حسنة

يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [٦]

لم يكن رسول الله ﷺ ليأمر بحياة لم يعشها، بل عاشها ثم أوصى أصحابه وعلمهم كيف يعيشونها.

حتى في أحلك الأوقات وأشدها عليهم كان أكثرهم كرمًا وأكثرهم تضحية.

كان أصحابه ينفق الأثرياء منهم في يسرهم أيما إنفاق، وينفق فقراؤهم في ضرائهم حتى كانوا يصعدون الجبال محتطبين، ثم ينزلون فيبيعون حطبهم في سوق المدينة المنورة وينفقون منه رغم عسرهم وضيقتهم.

٦ الأحزاب: ٢١.

كان رسول الله عليه الصلاة والسلام الأشجع في ساحات الحرب، منه قد تعلم أسود الله علي وحمزة رضي الله عنهما الشجاعة.

وعفى عن من جاؤوا ليقتلوه، فكانت رحمته ومغفرته وسيلة لهدايتهم، ونشر أصحابه الهداية في كل الأقطار.

لم يدخل النبي عليه الصلاة والسلام مكة عندما فتحها كقائد منتصر متعالٍ، بل دخلها كعبدٍ لله يمتطي ناقته مطأطئًا رأسه بكل توضع.

قاسى رسول الله عليه الصلاة والسلام من الظلم الكثير خلال سنواته الثلاث عشر في مكة المكرمة، وقد واجه محن عديدة لا تحصر خلال سنواته العشر في المدينة المنورة.

ولكن ورغم كل ما قاساه من ظلم ومشقة فقد كان نعم المتحلي بصفات الدين وحسن الإيمان:

- ✓ دعى لأهل الطائف بالنجاة!، أولئك الذين رجموه عليه الصلاة والسلام بالحجارة حتى أدموه.
- ✓ وضحى وآثر على نفسه بالهجرة.
- ✓ وشكر الله على النصر في بدر والذي بشره به الله تعالى.

- ✓ وبصبره في أحد.
- ✓ وثباته رغم الجوع والفقر في الخندق ورضاه وتسليمه.
- ✓ وفراسته وحنكته في الحديبية.
- ✓ وقمة الإنفاق والكرم الذي تجلى في خيبر.
- ✓ وثباته في حنين.
- ✓ وتواضعه ورحمته ومغفرته في فتح مكة.
- ✓ وجسارته وشجاعته في تبوك.

خلاصة الكلام أنه عليه الصلاة والسلام قد قدم في جميع مراحل حياته، وكان نعم الأسوة الحسنة والقدوة التي لا مثيل لها من حسن الخلق والأخلاق الحميدة، مكونًا بذلك شخصية نموذجية فريدة من نوعها.

وبهذا فقد كانت نتيجة سعي أصحابه للفضيلة هي نتيجة تربيته الحياتية، فقد كان لهم مثالًا حيًّا

أحيا الأخوَّة وعاشها

كانت تأتي الغنائم إليه ﷺ حتى مجلسه، ولكنه ﷺ لم يكن ليستريح حتى يوزع ما بين يديه.

عن عائشة رضي الله عنها قالت:

«ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليال تباعًا حتى قبض»[7]

وفي رواية أخرى عن عائشة رضي الله عنها قالت:

«لو شئنا أن نشبع شبعنا ولكن محمدًا ﷺ كان يؤثر على نفسه»[8]

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أنه روى أنه كان قد رأى برسول الله ﷺ خمصًا شديدًا حتى غارت معدته من الجوع، فانكفأ إلى امرأته وسألها عما عندهم فكان ما عندهم صاع من شعيرٍ وبهيمة من داجن فذبحها وطحن الشعير وأعد به طعامًا، وغدا إلى رسول الله ﷺ فدعاه للطعام، ولكن رسول الله لم يلب الدعوة وحيدًا، بل نادى بكل أهل الخندق من أصحابه ودعاهم معه.

بدايةً أكرم أصحابه وأطعمهم حتى شبعوا، ثم أشبع جوعه عليه الصلاة والسلام من بعدهم مرتاح البال عليهم.

---

٧ مسلم، الزهد، ٢٠/ ٢٩٧٠.

٨ البيهقي، شعب الإيمان، ٣/ ٦٢/ ١٣٩٦.

وكذلك في معركة اليرموك وبينما آثر الشهداء الثلاثة بعضهم البعض برشفة الماء ونقَّلوا القدح فيما بينهم مؤثرين بعضهم وكلٌّ منهم كان يتوق لرشفة ماءٍ في ذلك اللظا والحر، ولكنهم بإيثارهم ارتشفوا من نبع الشهادة وارتقوا كلهم.

علمهم السخاء

أخرج رسولنا محمد ﷺ الدنيا من قلبه ونبذ حبها خارجه، وبذا تبعه أصحابه الكرام الذين كانوا يقتدون به اقتداء الظل بصاحبه.

فكمثال كانت الشاة تهدى للمسكين منهم فيؤثر جاره على نفسه رغم حاجته ويقول: «لعله أشد حاجة فيها مني.»، فيهديها إليه، وكذلك يظنُّ جاره لجاره ويفعل، حتى لتمر بأبوابٍ سبعة والجار يهدي لمن هو أشد حاجة منه حتى لتعود الشاة لأول من أهداها فيكون هو أكثرهم حاجةً إليها.[9]

٩ الحاكم، المستدرك، ٢، ٥٢٦.

علمهم الرحمة

كان سيدنا محمد ﷺ نبي الرحمة.

كانوا في أيام الحرب وبينما كانوا يسيرون بالأسرى عائدين للمدينة المنورة، يتوقفون بين الحين والآخر ويركبون الأسرى إبلهم مكانهم حتى يرتاحوا قليلًا من وعثاء الطريق. وكان رسول الله ﷺ يحثهم بقوله:

«هُم إخوانُكم خَوَلُكم، جَعَلَهم اللهُ تحت أيْديكم، فمَن كان أخُوه تحت يَدِه فلْيُطعِمْه ممَّا يَأكُلُ..»[10]

علمهم الإنفاق وفهمهم الإسراف

كان خمس الغنائم لرسول الله ﷺ كما فرض الشارع، ولكنه عليه الصلاة والسلام كان يوزعها على أمته، وبعدما شرعت آيات الإنفاق بالنزول شرع الصحابة يتسابقون بالإنفاق والكرم.

فعلى سبيل المثال أنفق أبو طلحة رضي الله عنه في سبيل الله بستانًا له كان بجوار المسجد النبوي كان له فيه ستمئة من النخل.

١٠ البخاري، العتق،١٥/ ٢٥٤٥؛ مسلم، الايمان، ٤٠/ ١٦٦١.

قدوة في تربية الطلبة

«أتى أبو طلحة أم سليم فقال: أعندك يا أم سليم شيء؟ فإني مررت على رسول الله ﷺ وهو يقرئ أصحاب الصفة سورة النساء؛ وقد ربط على بطنه حجرًا من الجوع...» [١١]

عاش حياته صابرًا وراضيًا بها

فقد لقي النبي ﷺ في سبيل تبليغه للرسالة أشد الأذى والمحن، فصبر، وضاقت به الدوائر وادلهمت المحن، ولكنه تحملها واجتازها. فعن أنس رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ:

«لقد أخفت في الله وما يخاف أحد، ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد..» [١٢]

- لقي شديد الحزن بعدما فقد ستة من أولاده السبعة.
- قد سبّه أهل الطائف وسلطوا أولادهم يرجمونه بالحجارة.
- قد شهد فؤاده الكريم ما شهد من الحزن على تعذيب المشركين للمسلمين الأولين.

---

١١ أبو نعيم، الحلية، ١، ٣٤.

١٢ الترمذي، صفة القيامة، ٢٤٧٢.

- فقد أصحابه في غزوة أحد، فقد عمه الحبيب حمزة، وفقد مصعب رضي الله عنه.
- وكذلك واقعتا سريتي الرجيع وبئر معونة اللتان قضى فيهما خيرة الحفاظ والرسل الذين بعث بهم رسول الله ﷺ، حوصروا واستشهدوا.

ولكن ورغم كل هذه المحن والخطوب، ورغم كل ما عاناه عليه الصلاة والسلام من أحزان، إلا أنها لم تثنه، ولم تكسر متانته أو تخل بتوازنه أي من محن الدنيا الفانية.

بل قد صبر واحتسب كل ما أصابه وسلم أمره، ورغم كل ما كان يعتمر فؤاده الطاهر من الحزن والألم إلا أن وجهه الكريم ما فارقه التبسم، ما رآه أحدٌ متجهمًا قط، كان السكينة تغمره، ورضا الله يحيط به، وكان ﷺ يعكس دائمًا الوجه الضحوك المبتسم للإسلام.

وفي أي حينٍ كان يبلغ فيه شيئًا من النعم أو النصر كان يردد قائلًا:

«اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة»[13]

١٣ البخاري، الرقاق، ١، ٦٤١٣.

مانعًا بذلك الدنيا من أن تتسلل إلى القلوب سادًا الطريق لأن يميل القلب أو يلتفت إليها أو يدخله شيء من الغرور أو الكبر أو تمسه الأنانية.

ومن ناحيةٍ أخرى فقد كان عليه الصلاة والسلام يعلم أن الدنيا فانية وأنه لا حياة إلا حياة الآخرة فكان يذكرهم بذلك عند الشدد والمصائب وفي المحن محذرًا إياهم من الركون للحزن والقنوط بكثرة الشكوى وغياب التسليم والرضا.

علمهم العفو

كان أهل مكة مترقبين يتساءلون عما سيفعل المسلمون بهم بعد أن جاء زمن القصاص وجاء فتح مكة.

فنادى رسول الله ﷺ بأهل مكة قائلًا:

«**يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟**»

قالوا: خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم،

فقال عليه الصلاة والسلام:

«**فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: {لَا تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ} اذهبوا فأنتم الطلقاء**».

وفي خطاب آخر ففي الفتح قال عليه الصلاة والسلام:

«اليوم يوم المرحمة، هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة»[١٤]

ما جعل من الصحابة صحابةً إنما هو صدقهم وقربهم من رسول الله عليه الصلاة والسلام وحبهم الصادق له، لذا نجد أن السيرة النبوية ليست أحداثًا زمنيةً متسلسلةً كدروس التاريخ، بل هي درسٌ في الحياة، هي درسٌ لكي نحيا ونتعامل بتعامل نبينا وأن نتمثل أخلاقه ونعيشها بيننا.

لذا فالأمر لا ينتهي بترديد لساني أني أحب الله ورسوله!

بل يجب أن ينعكس هذا الحب على شكل حياة وتعامل وخلق، لا بد أن تنعكس المحبة على عباداتنا وأخلاقنا وبالأخص على منازلنا وفي أماكن عملنا بأسلوب تعاملنا مع بعضنا وبالطريقة التي نربي بها أولادنا، أي وباختصار لا بد لنا من أن نتمثلها في كل جوانب حياتنا.

فعندما تتلفظ ألسنتنا بقولها:

«أحب الله، وأحب رسوله»

١٤ ابن هشام، سيرة، ٤، ٣٢.

- ولكننا مع القول نحرم أولادنا من تلاوة القرآن وتعلمه، أو تجدنا لم نقربهم من السنن النبوية ولم ننمي لهم الجوانب الروحي الوجدانية.
- لو لم نراعِ الحلال والحرام في تجارتنا وأعمالنا.
- لو كان همنا الكنز والربا وكنا نميل للربح وكثرته دونما اهتمام بمصدره.
- لو ظلمنا وأكلنا حقوق العباد..

فإن كل هذا يستدعي السؤال والشك في ذلك الحب الذي ننسبه لأنفسنا، لله ورسوله.

لا بد لنا من أن نكون القدوة كما كان الصحابة الكرام، كانوا أصحابًا بالفعل والعمل لا بالقول وتحريك اللسان. قد برهنوا على إيمانهم وحبهم بأن عاشوا ذلك الإيمان حياتهم.

لم يدخروا في سبيل هذا الدين أي شيء بل بذلوا كل ما استطاعوا إليه سبيلًا، الذين قاموا فقالوا:

«يكفينا منها حب الله لنا وحب رسوله، وأن يرضوا عنا..»

فكما يضرب الله تعالى لنا الأمثال في كتابه الكريم عن المهاجرين والنصارى فيلقننا ويربينا على ضرورة الإحسان وحسن الخلق.

لذا دعونا نقس حالنا اليوم بحال صحابة رسولنا الكرام في ذلك الزمان:

- أثبت الصحابة الكرام صدق محبتهم لله ولرسوله بعظيم تضحياتهم وإخلاص نياتهم.
- في غزوة أحد وعندما أمر رسول الله عليه الصلاة والسلام الصحابة بأن يتبعوا أعدائهم حتى موقع حمراء الأسد.
- وأمرهم أن يخرج منهم من خرج إلى أحد فقط، وعلى الرغم من أن فيهم الجرحى من المعفيين من الكرّة، إلا أنهم قد قاموا وقالوا سمعًا وطاعة، حتى ولو حمل الجريح القائم منا الجريح القعيد فأمر الله ورسوله سارٍ حتى يتم.
- كان من الصحابة صحابي قد اشتد به المرض حتى أقعده عن المشي، ولكن ذلك ما منعه عن صلاة الجماعة في المسجد، فكان يعينه صحابيان اثنان آخران، يقومان به حتى المسجد.

- كذلك كان الرسل الذين يبعث بهم رسول الله ﷺ ليؤدوا الرسالة ويوصلوا الكتب للملوك في بقاع الأرض، كانوا يقرؤون كتابه ويؤدون رسالتهم من غير ما تردد أمام الجلادين القائمين أمامهم المستعدين لقطع رؤوسهم.

وهذه بعضٌ من الأمثلة التي تطرح عن الصحابة الكرام، فهم وعلى الرغم من كل تلك المشاق والأهوال قد أثبتوا حبهم لله ورسوله وغيرتهم عليه، وما استكانوا لضعفٍ أو عادوا عن أمر، بينما تجدنا نحن في هذا الزمن نفر من صلاة الجماعة ونهجر المساجد، نحيد عن طريق الحق ونميل عنه، بغير ما عذر ولا سبب.. ثم ترى ألسنتنا تلهج قائلة:

«روحي فداك يا رسول الله»!! وأي فداء ذاك ولا شيء يعمل في سبيله! أي محبة تلك التي لا تتعدى الألسن!

علنا لا ننسى أن الدليل على المحبة إنما هو التضحية، لذا فإن كنا نحب الله ونحب رسوله حقًّا، إن كنا نريد أن نكون من صحبه وأحبابه، من أهله وبقربه في الآخرة لا بد لنا من البذل، ولا بد لنا من التضحية لا بد لنا من أن نثبت حبنا في سبيله، وأن نبذل أنفسنا في طاعته.

فلكي ندخل في قوله عليه الصلاة والسلام:

«المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» [١٥]

لا بد لنا من أن نعيّ مدى قربنا منه عليه الصلاة والسلام في القول والخلق والعمل، أن تكون أفكارنا وأفئدتنا، ظاهرنا وباطننا، كلها كما كان يريد منا ويحب.

فمن بلغ ذروة الحب يطيع محبّه، ويختلق بخلقه، يتطبع بطبعه «إن المحب لمن يحب مطيع..»

وكما قال الشيخ الحسن البصري:

«يا ابنَ آدم، لا يغرنَّك أن تقول: المرءُ مع من أحب؛ فإنك لن تلحق الأبرارَ إلا بأعمالهم، وإن اليهود والنصارى لَيُحبُّون أنبياءَهم، ولا والله ما يحشرون معهم، ولا يدخلون في زمرتهم، وإنهم لحصب جهنم، هم لها واردون»[١٦]

فدعونا نفكر سويًّا:

- بداية من رسول الله ﷺ وصولًا لأصحابه الكرام فالأولياء الصالحين والسلف الكرام، فلنفكر في كل

---

١٥ البخاري، الأدب، ٩٦/ ٦١٦٨.

١٦ إحياء، جـ٢، ص ٤٠٢.

ما عملوه وما بذلوه في سبيل الله، فلنتفكر في خلقه وفي سعيهم لرضا ربهم بالقول والعمل ومن ثمّ ننظر إلى أنفسنا كم لنا يا ترى نصيب فيها مما عملوه؟!

- كم لنا من أن نسرّ ونفرح بكوننا أمة المسلمين، أم كم لنا أن نبكي ونحزن لحالنا؟
- كم يمكننا أن نعمل ونقدم بقلوبنا وألسنتنا وسواعدنا لأهلنا وإخواننا إخوة الدين المنكوبين والمهجرين في بقاع الأرض؟
- هل لنا يا ترى أن نأخذ بعين الاعتبار كل ما يمكننا تقديمه في سبيل ديننا، في سبيل الإسلام؟ هل لنا يا ترى أن نخدم ديننا بكل جوارحنا بقلوبنا ونفديه بأرواحنا دونما تلكؤ أو هوان؟
- دعونا لا ننسى: أن أولئك الذين فشلوا في اختبارهم دائمًا ما تجدهم هم أنفسهم من يفتشون عن الأعذار في كل ركن، أما الفائزون الناجحون فهم أولئك الذين بذلوا الجهد ومضوا ناسين أو متجاهلين اختلاق الأعذار.

فالعيش على خطاه عليه الصلاة والسلام والسير على نهجه إنما هي أنجع طريقة لعيش حياة يملؤها الخير

وتحفها الفضيلة، فهو عليه الصلاة والسلام قرآن يمشي على الأرض، فالعيش على خطاه فيه سرّ الوصول إليه.

فالعلم هو ما يحصل القلب من زاد المعرفة لا ما تقرأه العين من كلمات.

فقد كان الصحابة الكرام ﷺ قد نقشوا تلك العلوم والمعارف التي تعلموها على قلوبهم وكلما زادت محبتهم غرس حبهم أكثر فأكثر.. نعم ذلك هو العشق الحق، ذلك الحب الذي سطره مولانا جلال الدين الرومي عندما كتب المثنوي.

قد عبر مولانا جلال الدين الرومي عن ذلك الحب الملتهب الذي لن يخبو حتى بموته، بأشطرٍ قال فيها:

«فافتح قبري بعد مرقدي وانظر، تجد كفني يتصعد منه الدخان، دخانٌ أوقدته النار المشتعلة في فؤادي».

وفيها نرى الحب يتحول ليغدو عشقًا عاصفًا،

فمن كرم الله تعالى علينا ومنّه أن قرّب قلوبنا من قلب نبينا الكريم محمد ﷺ رغم وجود أكثر من ١٤ قرنًا من الزمن بيننا– لأن الأساس الصحيح يكون بأن تكون قلوبنا معًا وتتلاقى.

وقد شبهها النبي ﷺ بالمطر في قوله:

«مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ، لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ»[17]

فاليوم المؤمن الحق يعي:

- أن أداء العبادات ليس بالأمر الكافي لخلاصه ونجاته على الصراط المستقيم.
- يعلم أنه مسؤول عن ما يحصل في زمانه وعلى من حوله.
- ينكر المنكر ويغيره ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، بيده، فإن لم يستطع فبلسانه.
- يعي قدسية الأمانة التي أوكلها له ربنا في تبليغ دينه ونشره، ويعمل قدر ما يقدر على تبليغ رسالته.

قال تعالى في كتابه الكريم:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[18]

١٧ الترمذي، الأمثال، ٦/ ٢٨٦٩.

١٨ آل عمران: ١٠٣.

وكذلك في الحديث الشريف قال النبي عليه الصلاة والسلام:

«لأن يهدي الله ﷻ على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت»[19]

- جهز عليه الصلاة والسلام الرسل المبلغين بالعلم والدين ومن ثم بعث بهم لملوك الأمم.

وكانوا رضي الله عنهم يحملون الأمانة مدركين ثقلها وواعين مسؤوليتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومقدمين لذلك أرواحهم.

حملهم حب التضحية والتبليغ إلى مشارق الأرض ومغاربها فارتحلوا في جهات الدنيا الأربع.

كان عدد الصحابة الحاضرين لخطبة الوداع يجاور ١٢٠٠٠٠ صحابي، أما عدد الصحابة المدفونين في كل بقاع مكة المكرمة والمدينة المنورة فهو لا يتجاوز ٢٠٠٠٠ صحابي، أي أن ما يقارب المئة ألفًا من الصحابة قد جابوا بقاع الأرض مبلغين أمانة الإسلام وحاملين الرسالة حتى ماتوا فيها.

١٩ الطبراني، المعجم الكبير، ١، ٣١٥/ ٩٣٠.

➢ ضرب الصحابة الكرام ﭫ في تفانيهم بنقل الإسلام وتبليغه أعظم مثال في التضحية بالنفس والبذل، وفي عائلة العباس بن عبدالمطلب عم الرسول ﷺ وأولاده خير مثال، فقد دفن أولاده على النحو التالي:

- عبد الله في الطائف.
- وعبيد الله في المدينة.
- الفضل في الشام.
- معبد وعبدالرحمن في أفريقيا (بالقرب من تونس)
- قثم في سمرقند
- وكثير في ينبع (على ضفاف البحر الأحمر) [٢٠]

➢ في كل عصر ودهر يحتاج الناس إلى مسلمين قدوة يمسكون بهم إلى طريق الصلاح والتقوى، ونحن في أشد ما تكون الحاجة إليهم في زماننا هذا. ولكن لا يجب علينا أن نجلس منتظرين هبوط هؤلاء القادة علينا من السماء!، لذا لا بد لنا من أن نكون نماذج للمسلمين القدوة وأن نبدأ بأنفسنا أولًا قبل أي شيء، فعن أبي بكر ﭬ أنه قال: «أصلح نفسك يصلح لك الناس».

٢٠ الكتاني ،التراتيب، نظام الحكومة النبوية، ٣، ١٩٥.

ميراث الإنسان المثقف

وفي الحديث المروي عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها:

في مرض رسول اللَّهِ ﷺ، ثقل النبي ﷺ فقال: «**أصلى الناس؟**» قلنا: لا، هم ينتظرونك، قال: «**ضعوا لي ماء في المخضب**». قالت: ففعلنا، فاغتسل، فذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق، فقال ﷺ: «**أصلى الناس؟**» قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله، قال: «**ضعوا لي ماء في المخضب**» قالت: فقعد فاغتسل، ثم ذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق، فقال: «**أصلى الناس؟**» قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله، فقال: «**ضعوا لي ماء في المخضب**»، فقعد، فاغتسل، ثم ذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق فقال: «**أصلى الناس؟**» فقلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله، والناس عكوف في المسجد، ينتظرون النبي عليه الصلاة والسلام لصلاة العشاء الآخرة، فأرسل النبي ﷺ إلى أبي بكر بأن يصلي بالناس، فأتاه الرسول فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تصلي بالناس، فقال أبو بكر - وكان رجلًا رقيقًا -: يا عمر صل بالناس، فقال له عمر: أنت أحق بذلك، فصلى أبو بكر تلك الأيام، ثم إن النبي ﷺ وجد من

نفسه خفة، فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر وأبو بكر يصلي بالناس، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر، فأومأ إليه النبي ﷺ بأن لا يتأخر، قال: أجلساني إلى جنبه، فأجلساه إلى جنب أبي بكر، قال: فجعل أبو بكر يصلي وهو يأتم بصلاة النبي ﷺ، والناس بصلاة أبي بكر، والنبي ﷺ قاعد..»[٢١]

وفي صباح الثاني عشر من ربيع الأول، شعر النبي ﷺ بخفة في بدنه، ولكن لم تسعفه قوته لصلاة الجماعة.

وكان أبو بكر رضي الله عنه يصلي لهم في وجع النبي ﷺ الذي توفي فيه، حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة، فكشف النبي ﷺ ستر الحجرة ينظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف، ثم تبسم يضحك، فهممنا أن نفتتن من الفرح برؤية النبي ﷺ، فنكص أبو بكر رضي الله عنه على عقبيه ليصل الصف، وظن أن النبي ﷺ خارج إلى الصلاة «فأشار إلينا النبي ﷺ أن أتموا صلاتكم وأرخى الستر فتوفي من يومه»[٢٢]

---

٢١ البخاري، الأذان، ٥١/ ٦٨٧.

٢٢ البخاري، الأذان، ٢٥/ ٦٨٠؛ مسلم، الصلاة، ٩٨/ ٤١٩.

وهذا يدلنا على أن الميراث الأعظم الذي تركه لنا رسول الله ﷺ، هو الصحابة الكرام الذين يسيرون على خطاه ويتبعون تعاليمه الذين تركهم من بعده.

وإنما الغفلة الكبرى هي بالحيد عن نهجه ﷺ والبعد عنه، فمن عرفه ولمس ولو بضعًا من المعرفة ما حاد عن سبيله ولا ابتعد عنه عليه الصلاة والسلام.

أولئك الذين يعيشون بعيدين عنه عليه الصلاة والسلام إنما هم الأشقياء التعساء، أولئك الذين لم يعرفوه ولم يسعوا لمعرفته، مثلهم كمثل الذي يملك ما يملك من الدنيا ولكنه يكنزه من غير ما استخدام، فتراه يموت جائعًا معدمًا.

- فأول أمر أمرنا به الله تعالى كان:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [٢٣]

لذا فإنه ومهما كان العلم الذي يعمل به المرء، ومهما كان نوع العلم الذي يشغله، فلن يجعل الإنسان يغفل عن ربه، بل على العكس سيرى تجلياته سبحانه وتعالى تتراءى للناظر في كل حدث حصل وفي كل كائن خلق،

٢٣ العلق: ١.

ستجعله تلك التجليات يعتبر ويستذكر، سيرى ببصره وبصيرته الدلائل على آياته سبحانه وتعالى.

وسنسأل أمام الله عن حالنا هذا، عن علمنا هذا، سنسأل إن كان علمنا قد قربنا زلفا له تعالى؟ إن كان قد زادنا يقينا قرَّ في قلوبنا؟

ومن جميل قول يونس أمره قوله:

«العلم هو تعلم العلوم، العلم هو معرفة النفس، فإن أنت أردت أن تعرف نفسك، إذن فأقرأ وأقرأ لتعرفها..»

ما فائدة العلم؟

ليس العلم بتلك المعارف التي يُحشَى بها العقل وتكدس، إنما العلم هو ذلك الذي ينعكس سلوكًا وعملًا، لو كان فقط بالتعلم لبات مثلنا مثل ما ذكره قوله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة:

﴿...**كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً**﴾ [٢٤]

فعلوم الدنيا كلها لا بد له من أن تكون خطوة في السبيل إلى معرفة الله تعالى، وبذلك يتحول الإنسان من معرفة الأثر إلى أن يكون هو المؤثر، وينتقل من السب

---

٢٤ الجمعة: ٥.

إلى المسبب ومن الفن إلى الفنان فيقترب بذلك أكثر من الحقيقة ويقترب بذلك بذلك أكثر إلى الحق!.

أي إن العلم والمعرفة لا تصحان إلا إذا قربانا أكثر وأكثر إلى الفضيلة والتقوى والعمل الصالح، العلم ليس بعلم إن لم ينحوا بنا ناحية الحقيقة وناحية الحق تعالى، وبخلافٍ ذلك، كان للشيطان مثلاً ما له من العلم وكذلك قارون قد حاز العلم والمعرفة، ولكن علمهما ما زادهما إلا غيًّا وغطرسةً ودفعهم ليتمرغا في كبرهم وغرورهم.

فالعلم لا بد له بعدما يدخل الذهن أن يمر بالقلب، فيهضمه القلب ويتغذى به، وبذا تنشأ المحبة الإلهية وبناءً على هذه المحبة يقترب الإنسان من العشق الإلهي، فيتميز أهل الله وخاصته.

لذا سيكون لنا نصيب في كل العلوم من علوم:

- الدنيا والآخرة.
- المادية والمعنوية.
- سيتيزن العلم المكتسب ما بين العقل المتلقي والقلب الهاضم.

وبذا يكسب أطفالنا العلم الصحيح، يحسنون علم دنياهم، ويتعلمون تعليمهم المهني والدنيوي ويمزجونه بالعلم الروحي الوجداني، ويضفون عليه قيمة جوهر العلم الحقيقي، فيجمعون بذلك المادة والمعنى، يجمعون بذلك نصيبهم من سفر الدنيا والآخرة، وبينما عقولهم تنهم من العلم ستمتلئ قلوبهم بالمعرفة، وبذلك يكونون جاهزين ومستعدين.

وبذا سينشأ جيلٌ من أهل الصلاح والتقوى، كمعلمين وأطباء ومهندسين كعمالٍ وأرباب عمل كموظفين وإداريين مسؤوليين، فاضلين صالحين، يملأهم الخير وحسن الخلق تزين محبة الله أفئدتهم وتنيرها معرفته تعالى والقرب منه. فذلك العبد الذي ملأ حقيبته من الدنيا بشهاداته منها، رصّها فوق بعضها غافلًا عن الله مبتعدًا عن معرفته، مثله كمثل الجاهل الضال في حلك الظلام وسوداه.

فعلى سبيل المثال تجد من يقول عن أديسون:

«لقد اخترع أديسون المصباح الكهربائي، لذا لا بد أنه يرفل في نعيم الجنة لما خدم به الإنسانية جمعاء!»

ولكنه تعالى لم يخبرنا أنَّ من يكتشف اكتشافًا يدخل الجنة! ولم يعد أحدًا بهكذا وعد! إنما أخبرنا سبحانه وتعالى أنه لكي ينال الإنسان رضوانه ويدخل جنانه، لا يمكن إلا لو تمكن الإيمان من وجدانه.

لذلك فإن أي علم يتعلم من علوم الدنيا وأي اكتشاف يكتشف لن يغني عن معرفة الله تعالى ولن يقي صاحبه جهله عن عاقبته ومآله..

عطاء الله الإسكندري يلخص هذه الحقيقة بأجمل شكل قائلًا:

«ربي، ماذا وجد مَن فقدك؟ وماذا فقد مَن وجدك؟»

الإنسان هو أكثر المخلوقات حاجة للتربية:

من بين جميع المخلوقات كان الإنسان هو المخلوق الأكثر حاجة لأن يتربَّى.

أرقى فن في الحياة هو تربية الناس، لذا ومما لا شك فيه أن أعظم الفنانين ممن أتقنوا هذا الفن هم الأنبياء. والتربية هي مهنة الأنبياء ونبينا محمد ﷺ هو المرشد الأول لنا، و كما تفضل رسولنا العظيم قائلًا:

«أَدَّبَنِي ربي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي»[25]

لذا كلما حسن أدبنا مع رسول الله ﷺ وأطعناه، زادت طاعتنا وحسن أدبنا مع الله تعالى، قال تعالى في كتابه الكريم:

﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ...﴾ [26](النساء:٨٠)

يقول أحد المفكرين:

«إذا أردت أن تكون مدرسًا جيدًا في الأرض، فكن طالبًا في السماء..»

وسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام القدوة المثلى لنا و لنصل إلى مرحلة الاقتداء الذي يليق به فلا بد لنا من أن نبحث ونعرف أكثر كلّ قولٍ وعمل قد قام به أو نطق به وورد عنه، فعندما نعرف عن سنته أكثر، تزرع محبته في قلوبنا أكثر وأكثر، وكلما غرس الحب أينع في قلوبنا لرغبة في الاقتداء به واتباعه.

فمحبة الله ورسوله جوهرة مكنونة مخبئةٌ في روح كلّ إنسان إن لم يحافظ عليها فقدها وضاعت منه! وأنّا

---

٢٥ السيوطي، الجامع الصغير، ١، ١٢.

٢٦ الأحزاب: ٧٢.

له من حزن إن سقطت هذه الجوهرة المكنونة متحدرجةً على الأرض أو لو رميت للمهملات!!؟.

نحن اليوم أحوج ما نكون إلى القرب منه عليه الصلاة والسلام وأن نتعرف إليه أكثر من أي شيءٍ آخر، فالله سبحانه وتعالى قد أوجد رسوله محمدًا ﷺ كنموذج «الإنسان الكامل»، الذي بعثه الله رحمةً للعالمين وقدوةً للناس أجمعين.

ومع سنوات النبوة الثلاثة والعشرين التي قد عاشها، كان القدوة الوحيدة الحسنة المثلى للناس أجمعين، لجميع المؤمنين من قبل ومن بعد وحتى يوم الدين.

ومن آثار النظام التربوي الذي بناه الرسول ﷺ وأنشأه، كانت تربية الصحابة الكرام، التي بنت الأمم وأعمرتها،

فأي مربٍّ في يومنا هذا قادر على ما قام به؟! أم أي عالم نفسٍ يمكنه تحصيل ما حصّله؟

يقول شهاب الدين القرافي، أحد أبرز الشخصيات المتحدثة في علوم منهجية الشريعة الإسلامية:

«لو لم يكن لرسول الله ﷺ معجزة إلا أصحابه، لكفوه لإثبات نبوته».

لذا فإن رسول الله ﷺ؛

- هو من حوَّل وحشة الجاهلية إلى النعيم،
- والأراضي القاحلة التي أفسدها الظالمون وسقوا كل شبرٍ منها بالدماء، قد أحالها رسول الله بعدالته للسلام.
- كان الهادي الوحيد، المربي والمعلم لرسولنا الكريم هو خالقه سبحانه وتعالى، لم يأخذ علمه عن البشر قط، فذهابًا إلى علم النفس، ووصولًا لأصول التربية والتدريس، إلى «الأنثروبولوجيا» أو علوم الإنسان والاجتماع، وحتى أي علم يدرس الروح والنفس ويحللها، قد جمع منها ذِروتها.

وكما قال تعالى في كتابه الكريم:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢٧]

يسلك الإنسان بطبعه طريقًا للتقرب مِن مَن يحبه، فتجده يتصف بصفاته ويسعى ليشابهه، لذلك فإن وصل بمحبته إلى الرسول ﷺ وأخذ يسعى إليه، يصبح متأثرًا بأقواله وأفعاله ويسعى إلى تطبيقها، فذلك يعينه للاقتداء به والامتثال لأمره.

٢٧ القلم: ٤.

➢وقد أخبرنا وعلمنا رسول الله ﷺ بضرورة اتباعنا له في كلّ قولٍ وعمل عندما أخبرنا أن:

«**المَرْءُ مع مَن أَحَبَّ**» [٢٨]

تعلم الصحابة الحب ونهلوه منه عليه الصلاة والسلام، فأحبوه وأحبوا خالقهم، وأحبوا بعد ذلك أنفسهم وأحبابهم، وبذا اقتربوا بصالح أعمالهم إلى الكمال والتمام وبذلك وصلوا عليه الصلاة والسلام إلى ذروة الحب..

وكأبسط مثالٍ على درجة ذلك العشق والمحبة كان قولهم في كل حين: «فداك مالي ونفسي يا رسول الله!» فالحب يعني الفعل، الحب يعني التضحية، الحب هو ذلك الخط الفاصل الذي يجمع القلبين ببعضهما البعض. وفي حديث وارد عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال:

«**من أشد أمتي لي حبًّا ناس يكونون بعدي، يود أحدهم لو رآني بأهله وماله**» [٢٩]

---

٢٨ البخاري، الأدب، ٩٦/ ٦١٦٨.

٢٩ مسلم، الجنة، ١٢/ ٢٨٣٢.

➢ إن القدرة على التحلي بأخلاق النبي ﷺ والتشبه به في كل زمن من الأزمان إنما هي أعظم ثروةٍ يمكن للمؤمن أن يكتسبها لآخرته.

لذا فقد كلف الله تعالى أنبياءه بالواجبات الثلاثة التالية:

١. **تبليغ الرسالة وتوصيل آياته للأمم:**

﴿...**يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ**...﴾ [٣٠]

فالمعلم الحق لا بد له أولًا أن يكون بدايةً عاملًا بآيات القرآن الكريم مطبقًا لأحكامه، حاكمًا متحليًا بأخلاقه.

لذا فإن الإنسان المتعلم لا يأتي عن فراغٍ أبدًا، بل تصنعه التربية الصحيحة وتجذبه الهدايا للطريق الصحيح.

- ومن الأمثلة لما جاء عدّاس أحد عبيد أهل الطائف رسول الله ﷺ فلما رأى رسول الله وسمع تسميته بالله سأله مندهشًا:

---

٣٠ الجمعة: ٢.

«من أنت؟ لست من أهل هذا البلد؟» وقرأ وجهه الكريم.

- كما وكان الحال مع جعفر الطيار رضي الله عنه عندما أتى النجاشي ملك الحبشة النصراني حينها، فطلب منه أن يتلو عليه بعضًا من آيات القرآن الكريم، فبتدأ تلاوته لا بسورة الكافرين التي تخاطب المنكرين، بل ابتدأ بسورة مريم التي ذكر فيها عيسى عليه السلام وأمه مريم،

وفيما قال: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ فقال له جعفر: نعم؟ فقال له النجاشي: فاقرأه علي، فقرأ عليه صدرًا من كهيعص – سورة مريم – ، فبكى النجاشي حتى أخضلت لحيته و قال:

- إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة.» ثم أكرمه الله من بعدها بالإسلام. (ابن هشام الحميري، ص٢٢٤)

- وقد حدثني والدي موسى أفندي رحمه الله ينقل لي القصة التالية:

كان لنا جار من غير المسلمين منّ الله عليه لاحقًا بالإسلام، وفي يومٍ سألته عن سبب إسلامه أجابني قائلًا:

إنما دفعني للإسلام بالبداية ما كان إلا حسن خلق جاري -ربيع مولا- في منطقة أجي بادم حيث كان عندي مزرعة أعمل بها، وقد كان جاري يعمل في تجارة الحليب، فجاءنا ذات يوم حاملًا بيده حليبًا أعطاه لي قائلًا:

- تفضل هذا حليبك.
- فأجبته متعجبًا أنني لم أطلب منه حليبًا!؟

ليردّ علي ذلك الإنسان ذو الخلق الرفيع قائلًا:

- إنما قد غافلني أحد حيواناتي ودخل مزرعتكم من غير أن أراه، فرعى من عشبها، لذا فإن كل ما في ضرعها من الآن وحتى نموها بمقدار ما أكلته هو لكم وملككم.
- فقال له: لا بأس عليك، ليس إلا عشبًا، قد سامحتك به.
- ليفرض ربيع مولا مسامحتي ويصرّ على موقفه، واستمر يحضر الحليب لي كما قال.

لقد كان فعله كالذي أزاح حجابًا كان على عيني يعميه عن الحق، وأثر بي صنيعه أيما تأثير، فأشرقت عليَّ الهداية بنورها، وحدثت نفسي قائلًا:

- إن دين شخص بأخلاق كاملة كهذه الأخلاق إنما هو دين حق كامل! ونطقت الشهادتين ودخلت الإسلام بحسن خلقه.

➢ العلم لا يكون بتخزين كمٍّ هائلٍ من المعلومات وتكديسها في الدماغ، العلم هو أن تكون قادرًا على أن تتمثله، على أن ينضجك ويجعل منك أكثر معرفة ويزيد من نضوج شخصيتك ومقدرتك. هو أن تصل للتقوى، أن تعيش بما يرضيه تعالى وكما يرضيه.

١. مراد خان: هجر بورصا وسحرها ومروجها الخضراء فخرج من مقعد راحته قاصدًا كوسوفا ومات في سبيل الله وإعلاء كلمته.

٢. السلطان محمد الفاتح: بعدما مضى لفتح البوسنة، أسكن شعب الأناضول الطيب معهم، وكأثر لذلك أحبهم أهلها ودخل أهل المنطقة في الاسلام .

فإن كان الإسلام لا زال يعتمر قلوب أهلي كوسوفا والبوسنة حتى يومنا هذا فذلك إنما يعود فضله إلى السلطان محمد الفاتح وإلى مراد خان وما قدَّماه من تضحيات حتى وفاتهما. فبما فعلته شخصيات عظيمة

مثلهما قد أبقيتا شعوبًا كبيرةً على كلمة التوحيد ودين الله على مرّ العصور. وما زالا يذكران بالخير حتى يومنا هذا.

➢ الفتح الحقيقي هو فتح القلوب لا الأوطان. فأولئك الذين قد فتحوا طرق الرحمة في أفئدتهم هم البالغون، أما من أعرضت قلوبهم عما تعلمته وسدت مداخل الرحمة إليها وملأتها القسوة، باتت قلوبهم قاسية جوفاء غليظة فلم تعنهم على الاستقامة والهداية وبقوا بقلوب جافة قاحلة. قال تعالى في كتابه الكريم:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [٣١]

➢ يحدثنا الشيخ سعدي قائلًا:

أو يصبح الحمار عالمًا إن حمل الكتب فمشى بها؟!

إنما هو دابة لا تفقه ولا تدرك حتى إن كان ما تحمله خشبًا أم علمًا!

٣١ الجمعة: ٥.

لذا كان ينصحنا بقوله:

اقرأ ما شئت من كتب، وتعلم ما شئت من علم، ولكن اعلم أنك إن لم تتحلى بما تعلمته وتتصرف وفق ما يليق به هذا العلم (أي إن لم تكن من أهل التقوى) فلست إلا بجاهل.!

- أي لا بد لنا من أن نحسن إنشاء أنفسنا بداية، ومن ثم نقدر على أن ننشىء غيرنا ونعلم الآخرين منا. فمن هو ليس بقادرٍ على أن يبني ذاته فأنَّا له من بنيان غيره؟.

- أي إننا لو أردنا أن ننشئ طلبة مثاليين لا تشوبهم شائبة، فلا بد لنا من أن نكون نحن مثاليين كما نسعى.

- لابد للمربي أن يعي ويدرك أن كل خطأٍ يفعله وكل تقصيرٍ يقوم به إنما ينعكس مباشرة على تلاميذه فيقلدونه وترسخ في عقولهم لذا لا بد له من أن يدرك عمق هذه المسؤولية.

- ولا بد له من أن يكون مخططًا بشكل كاف للدرس الذي يعطيه لكي يؤتي أكله ويثمر، من هيكلة الصف بذاته إلى تحضير ما قد يعينه من وسائل شرح.

- العمل بنهج منظم الذي يتبعه المربي سيعود عليه بالفائدة في أن يرى خطّ سير تعليمه وتقدمه ومدى أثره على طلبته.
- من الضروري أيضا أن يحضر طلبته للأسئلة المحتملة في الامتحانات كي يجهزوا أنفسهم.
- يجب أن يكون المربي في سعي مستمر للتطور وللكمال فخلاف ذلك قد تؤدي قلة كفاءته إلى أن تنطفئ العديد من القدرات والمواهب التي لم تكتشف في طلبته.

ودعونا لا ننسى:

أن أشد أنواع الإسراف سوءًا هو الإسراف في البشر.

سيأتينا العديد المتنوع من الطلبة، بعضهم ممن أتى ليُكسبنا بتعليمنا له الأجر والثواب، وبعضهم قد جاء ليبتلينا به الله ويمتحننا.

- يجب أن يأخذ المربي كل طالب على محمل الجد والمسؤولية، وأن يضع دائمًا بالحسبان أن هذا الطالب الذي لجأ إليه قد يكون فيه من الخير ما فيه ليكون من أعلام هذه الأمة وممن يسطرون مستقبلها.

➢ المربي الذي يحطم مواهب طلابه فيقص باسق الأشجار محولًا إياها إلى شجرة لا يتعدى طولها المتر الواحد، هو مسؤول عن ما فعله أمام الله وسيحاسب على عمله.

➢ تماما كما في الحال مع الميكانيكي، حيث تدل أعماله وما أصلحه على خبرته ومهارته، كذلك هو المربي فطلابه هم خير دليل على كفاءته.

➢ أفضل ما يمكن أن يتجهز المرء به لمستقبله أن ينشيء إنسانًا كُفُؤًا ويعلمه ويطوره، فإن قوة العلم تكمن في كون الإنسان قادرًا على تطوير ذاته وإصلاحها.

يروي لنا مولانا جلال الدين قائلًا:

في ليلة من الليالي وبينما أنا أتمشى في طرقات الريف، إذ بي أرى رجلًا يتجول في الأزقة حاملًا بيده فانوسًا،فسألته:

- ما الذي تفتش عنه في هذا الليل الحالك؟

- فأجابني: أفتش عن إنسان.

- فأجبته: يا للأسف، عبثًا تحاول تبحث عنه، قد هجرت مسكني بحثًا عنه ولم أجده، عد إلى منزلك ودع عنك عناء البحث فلن تجده.
- فنظر إلي بنظرة يشع منها الألم وقال: أعلم ذلك! أعلم أنني لن أجده ولكنني ما زلت أجد السلوان في بحثي.

➢ يقول الدرقاوي أحد أشهر شيوخ الشاذلية: كان سيدي يرسلني إلى قبيلة ما فقلت له: هناك لا عبد لله أقدر أن أذاكر أحوالي معه ولا رفيق يؤنس روحي!، سأظل فيها وحيدًا!

فأجابني: ذاك الخلّ الذي تبتغيه أنت مَن ستلِدُه! (أي ستبحث عنه حتى تجده فتعلمه وتنميه حتى يكون لك ما تريد).

➢ التربية ليست مهمة يتم إنجازها جالسًا، فقد جاء نبينا ﷺ ليبلغ الإسلام وينشره بين الناس، لم يقل دعهم يأتوا لأشرح لهم! بل خاطر بنفسه حتى إنه مضى إلى الطائف وهو يضع في الحساب رجمهم له، وفي طريق عودته صادف أحد العبيد، فما توانى عن دعوته مباشرةً

وما كان عليه الصلاة والسلام ليضيع الفرص التي تأتيه دونما استفادة منها.

وكذلك لا بد أن يبحث المؤمن عن الفرص ليغتنمها، وإن هو بحث، يسر الله له الفرص تجري بين يديه، ولكن إن غفل ولم يسعَ لتلك الفرص ولم يسعَ لاغتنام ما أتاه منها، فستجده تمر الفرص تلو الأخرى من أمامها وهو غافل معميٌّ عنها فلا يراها ولا يستثمرها ويضيعها.

عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال:

«إن الناس لكم تبع، وإن رجالًا يأتونكم من أقطار الأرضين يتفقهون في الدين، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرًا»[٣٢]

- مفاتيح التوفيق في التعليم هي ثلاث: **الصبر، والثبات، والتضحية.**

كما ليس لساقيةٍ أو نهر أن يصعدا جبلًا، بل لا بد لهما من الالتفاف حوله ليتجاوزاه، حتى ولو كان الالتفاف يعني طول الطريق، وكذلك التربية، وكذلك هي تربية الإنسان.

٣٢ الترمذي، العلم، ٤/ ٢٦٥٠.

فبعد الصبر في مكة المكرمة وصولًا للمدينة المنورة قد كان حصيلة الدعوة بعدما كان المسلمون أربعين عند مضي ست سنوات أصبحوا بعد مضي ٢٣ سنة ما يقارب ١٥٠,٠٠٠ مسلم ومسلمة .

- أعظم الصعوبات والتحديات في الحياة قد مرّت على الأنبياء .

- كل فنانٍ يعلن بفنّه عن مدى مهارته وحسن صنعته، وكذلك كان إمكاننا أن نفهم مدى مهارة كل فنان من العمل الذي ينتجه، و النبي محمد ﷺ ما فعله هو أنه رفع جيل الصحابة من الجهل و الضلال إلى النور و الهداية و علمهم المثل الإنسانية. لقد كان للأمة خير معلم عليه صلوات الله و سلامه.

٢. وظيفة الأنبياء الثانية:

تطهير وتنظيف عوالم الإنسان الداخلية:

- لكي يكون المرء فعالًا ونافعًا بعلمه، لا بد له من تزكية وتربية داخله وباطنه، لأن المربي الحق يمتزج شيء من روحه وشخصيته بروح وشخصية طلابه.

➢ وتشرح لنا الآيات الكريم التالية ذروة التربية والتعليم:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [٣٣]

أي إنه قد فاز من زكى نفسه عن المحرمات

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [٣٤]

فعلى سبيل المثال نجد طفلين اثنين كلاهما في الثالثة من عمرهما، تجد أحدهما رحيمًا يرى قطط جائعة فيطعمها ويضع لها حليبًا ترشفه، ونرى الآخر يرشقها بالحجارة! كلا الولدين بحاجة إلى التربية فالأول بتربيته ينمي الفضيلة والصلاح الذي به فتتعاظم رحمته وتنمو، والآخر بتربيته يقدر على تجاوز الخطأ ويدركه ويحسنه.

ومن الرباعيات المنسوبة لمولانا جلال الدين الرومي والتي تعود لأبي سعيد أبي الخير:

«تعال تعال! مهما كنت تعال، إلى الهدى من جديد فلتأت! كافرًا كنت أو مجوسيًا أو كنت حتى وثنيًّا إلى الإيمان الحق تعال!

---

٣٣ الشمس: ٩.

٣٤ الأعلى: ١٤.

وأعلم أن أماكن خلواتنا ليست مأوى للعزلة واليأس بل هي خلوة الهداية. لا يأس ها هنا، حتى وإن أذنبت مئة مرة وتبت مثلها فارجع!».

وهذه الدعوة التي نادوا بها ليست بغرض أن يأتي الجميع وهم على ما هم عليه بلا غاية ولا هدف، إنما هي دعوة للهداية والعودة للطريق الصحيح، ليصحح المرء داخله ويزكيه ويرتبه.

أهمية الجانب المعنوي في التعليم والتربية:

➢ لو نزع الوجدان والروحانية من المحامي لبات جلادًا غليظ القلب لا أكثر، ولو مسحت الرحمة وغاب الوجدان عن الجراح لبات جزارًا بلا قلب!.

وبذا فستجدهم لا يكترثون لتسميم قلوبهم وأفئدتهم لشيء ضئيل من دنياهم البالية.

➢ فمن أهم خصائص التربية هو ترسيخ الطباع الحسنة لدى الطلبة.

فمثلًا كان رسول الله ﷺ يدرب ويربي كل صحابيٍّ من الصحابة الكرام كل على حدا بشكل مختلف عن الآخر، فسيدنا أبو بكر رضي الله عنه العطوف الذي تفيض الرحمة

من قلبه كان مختلفًا عن سيدنا عمر بن الخطاب بكل جلاله وهيبته، وكلاهما يختلفان عن معاذ بن جبل أو أنسٍ بن مالك أو الحبشي أو الوحشي.. كل واحدٍ منهم كانت له شخصيته المختلفة والتي تعامل معها رسول الله عليه الصلاة والسلام وربّاها وطورها، وبذلك فقد غدا كل واحدٍ منهم نجمًا ساطعًا بدوره.

لذا فلا بد للمربي أن يكون على دراية وإدراك جيد لشخصيات طلابه المختلفة، حتى يستطيع أن يجسّ النبض الصحيح، والذي يستطيع من خلاله الولوج إلى أرواحهم ليمسّها بتربيته.

كل مهنة مهمة لهذا المجتمع وكل عملٍ هو مطلوب، ولذا فمن المهم أن توجه القدرات كلٌّ لمكانها الصحيح، فأولئك الذين يميلون للرياضيات لا بد أن يوجهوا نحوها، وغيرهم ممن يميلون للشعر لا بد أن يوجهوا إلى الشعر. ولكن لا بد لنا من أن لا ننسى أن كل شخصيةٍ تختلف عن الأخرى لذا فالنصيحة التي قد تفيد أحدهم قد تعود بالضرر على آخر، لذا لا بد لنا من توخي الحذر.

➢ المزارع ينثر البذور ويزرعها، يرعاها ويسقيها ويحميها في حال ما هاجمتها فئران الحقول، ولكن ذلك أقصى ما يمكنه فعله والباقي هو أمر الله وتقديره.

المهم من المربي أن يفهم شخصيات وقدرات طلابه المختلفة بشكل صحيح وينميها ويوجهها.

ويجب أن لا ننسى أنه في التربية:

أ. بقدر حبنا يكون أثرنا.

ب. وبقدر ما نحب نُبادَل بالحب.

➢ المحبة هي رأس مال التعليم والتربية، بالحب نحل مشاكلنا نحن وبالتالي نحل كل مشكلة أخرى.

➢ فتخلل الحب لمشاعر المربي تدفع به للقرب أكثر مما يعطيه، شعوره بالحب يزيد من حبه لما يعلمه، ونهجه نهج المحبة والود والرحمة مع طلابه يلهمهم فيوصل بذلك علمه لقلوبهم مباشرة كما يوصله لعقولهم.

مثله كمثل الحديد الخام، لا بد له من أن يوضع في النار حتى تلين صلابته فيقدر الحداد على تشكيله؛ كذلك هي القلوب لا يمكن أن تتقبل التغيير والتشكل ما لم تنعم بلين المحبة والود.

وبالحديث عن المحبة، فالمحبة المصطنعة التي لا تنبع من القلب حقًّا لا تتجاوز أعتاب الآذان، لا تمس القلوب ولا تأثر بها.

أمثلة من حلقتنا الطلابية وقت دراستنا:

- **يمان دادا:**

أستاذنا عبد القادر كيش أوغلو، -الذي كان سابقا من مسيحيي الأرثادوكس ومنّ الله عليه بالإسلام- والملقب «بيمان دادا»، بينما كان يدرسّنا الفارسية كان لا يمضي على بدئه لشرح قواعدها عشر دقائق حتى ينطلق فيسرد بيتين من الشعر المثنوي ويغوص في شرحهما لنا ودموعه تنهمر على وجنتيه مع الشرح.

كان فؤاده مليئًا بالحب، وعندما سئل مرةً من أحدهم متعجبًا:

«كم أنت تحب مولانا؟!»

فأجابه:

«أي بني! كيف لي أن لا أحبه، وهو من أخذ بيدي وأخذ بقلبي وأدخلنا من باب النبي ﷺ».

تعاقبت الأيام منذ ذلك اليوم وجاء وذهب الكثير الكثير، ولكن ما زال أثر كلماته التي لامست أرواحنا في ذلك ها هنا.

وكأنني أراه مثالًا يقولها أمامي وجسده يرتعش مرتجفًا كورق الخريف المتمسك بجذع شجرة في مهب الريح، كقطرات الندى تتلألأ في أواخر الربيع.

- **نور الدين طوبشو:**

كان مدرس مجموعة الفلسفة لدينا الأستاذ نور الدين طوبشو شديد الأسف على حال الفرد والمجتمع في الأمة الإسلامية، من أنانيتهم وغرورهم الذي يمنعهم من ممارسة الإسلام في الحياة الفردية والاجتماعية، وكان يقول لفرط دهشته: «عجبًا لغفلة هؤلاء البشر عن الصوفية!».

وكانت أعظم نصائحه لنا:

«قد دمر التعليم هذه الأمة.! ولكنها لن تنهض مجددًا إلا بالتعليم، لذا لا بد لكم من أن تكونوا جميعًا معلمين في المستقبل!.»

أحد أساتذتنا الآخرين كان يأتي كل صباح في تمام السابعة يسكب لنا الحساء، ما كان أستاذنا ليؤنبنا لو رأى كسرات خبزٍ ملقاة على المائدة: بل كان يتوجه إلينا بكل ود ناصحًا بقوله:

«أي بني! هنالك الكثير ممن يتمنون هذه اللقمة في الخارج هنالك ولا يجدونها، إنما تدوم النعم بشكرها، بشكرنا لله تعالى على ما أنعم به علينا يبارك لنا فيما رزقنا ويزيده، ولكن إن لم نقدر نعمه ونعرف قيمتها منعها عنا بل ونزعها منّا!».

وكان أساتذتنا دائمًا ما يعطون دروسًا إضافية بعد الدروس المقررة لأولئك الذين يحتاجونها، ليعوضوا بها لهم أوجه التقصير التي قد تكون لديهم، ولكي يلحق الطلبة المقصرون بالركب مع زملائهم الآخرين، كانوا يعطون بكل تفانٍ وإخلاص وهمهم الأول كان طلبتهم.

مر الكثير على تلك الأيام الخوالي، مضى أكثر من نصف قرنٍ عليها، وعلى الرغم من ذلك ما زال أثرهم في قلوبنا ثابتًا لم تمحه الأيام أو تنسنيه.

➢ لابد للمربي والمعلم أن يغمره فيض من الروحانية والإيجابية والتفاؤل وأن ينشرها فيما حوله، لا بد لفؤاده من تغمره الرحمة، أن يكون بأفضل ما يمكن أن يكون في كل حال وزمان، أن يكون قدوة ومثلًا يحتذى به.

➢ المربون هم من يبنون نظرة الأطفال المستقبلية لحياتهم، هم من ينيرون القلوب ويفتحون مسالك الأوردة هم إن أمكن لنا تسميتهم «مهندسو المستقبل»، فهم يبنون أغلى وأهم لبنة في الطفل.

لذا فلا بد للمربي من أن يكون نموذجًا كما يليق بالمربي المسلم، وأن يراعي ذلك في كل زمان ومكان في حياته بشكل عام وفي صفّه وبين تلامذته بشكل خاص، أن يعي كل كلمة ينطقها وكل جملة يلفظها، أن ينتبه لحركاته وسكناته وتصرفاته ولا ينسى أن كل حركةٍ وكل كلمةٍ إنما هي جزءٌ من أجزاء هذه اللبنات الأولى التي ينشئها في طلابه!

➢ فمن لا يوافق لسانه بيانه، ولا يوافق حاله قوله لا يمكن له يومًا من أن يقنع غيره أو يؤثر بهم.

يقول ضياء باشا: «من أراد أن يعرف أحدهم ويشبهه، فلينظر لعمله لا لسانه».

➢ فالتربية ليست حبًّا عابرًا زائفًا يمر لوقت ما ثم لا يلبث يغادر، بل هو عشق يصيب الصميم هو واجب نبيل لا بد من إكماله على أحسن وجه حتى الرمق الأخير.

٣- وظيفة الأنبياء الثالثة

تربية القلوب:

﴿...وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ...﴾ [٣٥]

بلوغ الحكمة وتعلمها..؛

- السنة التي تفسر آيات القرآن وتشرح أحكامه، وترينا كيف نطبقها في حياتنا،
- أن يكون المرء على دراية بأسباب وعواقب الأحاديث.
- وأن يرى الأشياء على حقيقتها وأن يدركها.

➢ سننظر إلى كل شخص لدينا على أنه الأمانة التي وضعها الله بين يدينا، لذا لا بد لنا من أن ندرك قيمة

٣٥ البقرة: ١٢٩.

هذه الأمانة ونتعامل معها على أكمل وجه، نهتم ونعتني بهم ونكون مراهم جراحهم ومتنفس همومهم، ولا بد لنا بالأخص من أن نعمل على ملء قلوبهم بما يحمله الإيمان من حبور وخير كثير نعلمهم الحقائق والحكم النابعة من القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة.

➢ فالمربي الذي ينعش أفئدة طلابه ويملؤها بوحي القرآن وروحانية الإيمان والسنة مثله كمثل النسمة الرقيقة التي تهب على حديقة غناء، فيها من الورود والأزهار النادرة ما فيها، فتحمل معها من عطوره ناشرةً عبيرها منعشةً بريحها الأرجاء.

يقول محمد عاكف أرصوي:

من يقول عن نفسه أنه «مربي» لا بد له من أن يتحلى بالإيمان والأدب أولًا، ومن ثم بالليونة والضمير الحي ثانيًّا، فإذا اجتمعت هذه الأربعة صح عمله وإلا فلا. فالمربي مهنة ليست بالهينة.

١. الشرط الأول هو أن يكون مؤمنًا، وذلك يعني أن يكون مؤمنًا تملأ روحه الرحمة.

٢. أما الشرط الثاني فأن يكون مؤدبًّا، أي يكون ذا شخصية يحتذى بها بالعبادة والمعاملة والسلوك.

٣. والشرط الثالث هو الليونة، وتعني أن يعمل على تطوير نفسه وتثقيفها ليكون على القدر المؤهل لأداء وظيفته.

٤. أما الشرط الرابع والأخير فهو أن يكون ذا ضمير، أن تغمر الرحمة روحه وتغلبه الشفقة وتزينه إنسانيته.

➢ ولكي يوفق المربي في وظيفته لا بد له من أن يكون هدفه الأول دائمًا وغايته رضا الله تعالى، فيستحضر خشوعه ويدخل درسه كما لو أنه يؤدي عبادة من عباداته.

➢ كما لا بد من المربي أن يكون على قدر عالٍ من رهافة الإحساس، حتى يقدر على فهم إحساس من يخاطبه وتفكيره، فمحاولة تعليم أحدهم علمًا من دونما فهم لمشاكله أو قرب منه لن تسفر عن نتائج إيجابية كما يريد.

➢ لا بد له أن يكون صاحب رؤية ويعرف كيف يستثمر الفرص فيتحيّن الفرص التي يكون فيها

المتلقي على أهبة الاستعداد للاستماع والأخذ، كما كان رسول الله ﷺ يراقب ويتحيّن الفرص المواتية ليخاطب بها أصحابه حتى لا يسأموا أو يملوا.

الدين هو عاطفة مفعمة، والتربية الناجحة تحتاج إلى بيئة مفعمة بالعاطفة والإثارة ووسط متيقظ متقد!.

➢ لا تربية حيث يطر الكسل والخمول والعجز، فالعلم بحاجة للحب، العلم يحتاج عواطف جياشة وغيرة عليه وسعيًا دؤبًا.

➢ ولا ينبغي للمربي أن تغمره الشكوى ويملأه الضجر مما يواجهه من صعوبات، لا ينبغي له من أن يكون كثير التذمر، بل لا بد له من أن يعي أن هذه الصعوبات ما هي إلا ابتلاءاته الدنيا تختبر حكمته وقدرته ومرونته.

➢ التربية هي فن التجاهل والتحمل، هي حرفة نسيان الشكاوي المتراكمة في مواجهة الصعاب وتحملها، وحيث تنتهي القدرة على التحمل ويبدأ التذمر هنالك تنتهي التربية.

صحابتنا الكرام ما أوهن عزائمهم الكسل ولا شعروا بالعجز وهم يشقون طرقهم متجهين إلى الصين وإلى سمرقند بل العكس.

➢ لا بد للمربين من أن تملؤهم الشفقة والعدل والإنصاف، فلا يحملوا طلبتهم ما لا يقدرون عليه من مهام، عليهم أن يراعوا الفروقات التي بينهم ويحسنوا توزيع الوظائف عليهم بناءً على قدرتهم، فلا يحمل الله نفسًا إلا وسعها.

➢ كما كل راعٍ مسؤولٌ عن رعيته، لو كسرت قدم نعجةٍ من القطيع مثلًا كان لزامًا عليه حملها على حجره، كذلك هو المربي مسؤول. قال عليه الصلاة والسلام: «**كلكم راعٍ**»، ولكن الراعي الذي قصده رسول الله عليه الصلاة والسلام بذلك التشبيه ليس براعي اليوم الذي نراه يرعى قطيعه في المرج، بل ما قصده بذلك هو راع المعز، المعز الحاد الطباع الصعب الانسياق.!

كما وتحضر الأنبياء للنبوة قبل أن يصلوا لها فعملوا في الرعي؛

أ. فالراعي يدرك روح القطيع ويفهمها.

ب. والراعي يأخذ بقطيعه للمروج الخضراء التي يملؤها الكلأ فتتغذى، ولا يسوقها للأراضي العجاف الجافة.

ج. يحمي الراعي قطيعه من الذئاب والوحوش الضارية.

د. لا يترك الراعي للذئب حتى المريض من الشاة، بل يحملها بين ذراعيه لينقذها إذا لزم الأمر.

هـ. الراعي دائمًا ما يكون في المكان الذي يلزم فيه، ويحيط بقطيعه من أمامهم أو من خلفهم حسبما يضطره الأمر.

➢ على المربي أن يكون متواضعًا، أن يعي أن التقصير إنما هو من نفسه، وما توفيقه إلا من الله.

➢ وعليه أن يكون ضحكوًا باسم الوجه، أن ينشر الابتسامة بحلو كلامه وطيب لسانه، وأن يعمل على الحب قبل أن يتوجه للعلم والتعليم، ولا ينسى أن الإحسان والحسن يغلبان الإنسان، وطيب الكلام والوجه الضحوك الباسم يفتن البشر.

➢ لا بد أن ينتقي كل كلمة تخرج من فيه، أن تجذب كلماته سامعيها، أن تريحهم وتأخذهم معها فتتدفق في

عقولهم وتنساب، وأن لا يكون فظًّا غليظًا فينفض عنه طلبته ويفسد تعليمه فيفسد عبادته بدل أن يصلحها لا قدر الله!.

➢ قال تعالى في كتابه الكريم:

﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [36]

➢ الشدة المفرطة تولد الكراهية، وكذلك اللين المفرط يفسد ويخلّ التوازن، لذا فإن النجاح يكون بالتوسط ما بين الشدة والرخاوة وحفظ التوازن ما بينهما ما كان لذلك سبيل.

➢ المربي الحق ليس ذلك الذي ينبش في أخطاء طلبته ويبحث عنها، بل هو من يراها فيسترها ويعمل على إصلاحها من غير ما إفشاء.

➢ كما لا بد على المربي أن يخصص لطلبته بعضًا من وقته في غير ساعات عمله، لكي لا يكون كالعامل في المعمل الذي يختم أوراق الدخول والخروج، أو كالموظف الذي أقصى ما لديه أن يوقع على دفتر

٣٦ لقمان: ١٩.

حضوره.! لا بد له من أن يقترب من طلبته أكثر ويخصص لهم من وقته أكثر.

❀

وخلاصة الكلام، أن التربية والتعليم هما عماد هذه الأمة، من يقم على خدمة مهمة مثلها يقم على بناء مستقبل أمته، فلكي تعلم مستقبل أمةٍ ما لست بحاجةٍ للتكهن ولا لعلمٍ من الغيب، بل يكفيك أن تنظر إلى حال شبابها فترى ما هم يصنعون وفيما هم يقضون وقتهم ويصرفون طاقاتهم، إن كان شباب الأمة منصرفين لفعل الخير، منصرفين لصالح العمل، يبذلون جهدهم في سبل الفضيلة والخدمة والإحسان فهي لا بد أمة واعدة ينتظرها مستقبلٌ واعد.

أما إن كان العكس، لو كان شباب هذه الأمة ضائعين، تتملكهم شهواتهم، يمضون بلا عزيمة مبددين طاقاتهم ومهدرين قدراتهم، فإن هذه الأمة هالكة لا محالة ينتظرها مستقبلٌ يملؤه الخسران.

يقول أحد المفكرين:

«الفارق الوحيد الذي يرجح كفة الميزان فيما أن تكون أمة ما أمةً حاكمة أو أن تكون أمةً متحكمًا بها هو أن يكون في الأمة حفنة من المتعلمين الناشئين، أولئك المتعلمون هم الثقل الذي يرجح الكفّة..».

المربُّون الحقيقيون هم:

- من يزهدون في الدنيا ولذاتها، باذلين قلوبهم في سبيل تعليم طلبتهم..
- هم يعتبرون المجتمع بكلّه مسؤوليتهم،
- من يعلمون أن خلاصهم ونجاتهم تكمن في سعيهم لنجاة غيرهم،
- هم من يكللون عملهم وسعيهم بالصبر والعزم الدائم،
- هم جنود الإيمان، من يحمون حدود الأخلاق، ويضحون بأنفسهم في سبيل إعلائها،

فطوبى لهم لِما تركوه من أجيال صالحة من بعدهم، هم لهم صدقةٌ جارية، عبادًا لله، يزينون هذه الدنيا بحسن أثرهم!..

أسأل الله تعالى أن يستعملنا ويستخلفنا ويجعلنا من عباده الصالحين، من أهل العلم والعرفان، ويكرمنا بلطفه ويمنّ علينا بكرمه بالصلاح والإصلاح ويرزقنا خيري الدنيا والآخرة...

وختامًا أود أن أضيف أنكم ما أصبحت مربِّين إلا نتيجةً لما تلقيتموه من علم وتعليم، ولكن مع ذلك فإن هذه الدنيا هي دار تعلم كبرى، وكلنا طلاب فيها، أي إن تعلمنا لا ينتهي إلا بانتهائها، ولا يقف إلا بتوقف صعود أنفاسنا.

للمربي ثلاث درجات عظيمة الأهمية في دربه:

١. أولها تلك الدرجة التي يعطيها المربي لطالبه.
٢. وثانيها الدرجة التي يعطيها الطالب لمربيه.
٣. وثالثها هي الدرجة التي سيعطيها لنا الله تعالى حين نقف بين يديه يوم القيامة.

فكما يسعى المربي ويريد من طالبه أن ينهي فصله الدراسي بتقدير عالٍ وبعلم وافر يكتسبه، كذلك هو تعالى -ولله المثل الأعلى- يريد منا أن نختم حياتنا الفانية هذه بصحيفة يملؤها الإيمان ويزينها العمل الصالح.

أسأل الله العظيم أن يهبنا جميعًا بلطفه وكرمه الحكمة والإحسان.

اللهم آمين!..